الخطوط الحمر وتتدرج العداوة إلى الكره،، إلى التطرف الدامي،، إلى التناحر حتى يقتل الأخ أخيه لأنه من العصبة الأخرى. العلمانيون والنخبة اللبرالية تواجه الخصوم من التيارات الإسلامية. ستتصدع الأمة وسيزداد التضييق "الأمني" ويزداد بذلك الفعل وردات الفعل ومن ثم يحتد التصعيد،، والمزيد منه،، خصوصا،، الاصطياد في المياه العكرة،، المتعفنة بطبيعتها.

" بين يديك مثل بيّن في مصر. لا يجب أن تراهم بغير عين الحقيقة الواقعة ودون أية غشاوة مضللة. لا تضعهم في غير مواضعهم. ها أنت تراهم في ساحة التحرير خائضين مغلوبين على أمرهم. لو انجلت ضبابية الشبهات لعلموا بحقيقة أمرهم بأنهم مجرد "أداة" للدجال،، لفكروا ألف مرة. لو علموا لكان اختيارهم لاختيارهم عن يقين، إما أن يكونوا على ما هم عليه بوعي كامل أو أن يتراجعوا عنه وذلك من منطلق وضوح الحقيقة. لكنهم لن يفعلوا.. لن يفعلوا ذلك أبدا. ليس تقصيرا في الإجتهاد وعدم الرغبة في المعرفة، بل لأن مسار الأحداث المتصاعدة يجب أن يستمر في التصعيد. يجب أن يكون ثمة طاقة وقوة. يجب أن يكون للدجال جندا لمواجهة الإسلام. يجب أن تكون ثمة عناصر معركة. معركة دامية تزداد حدّة وشراسة وشمولية.

"ألم تر كيف لبس الباطل لبوس الحق وساد سيادة التناقض المفضوح على مشهد ومسمع من لا يريد أن يسمع ولا أن يرى وليس له الجرأة على اتخاذ أي موقف؟ ألا ترى الإنقلاب العسكري الذي أطاح برئيس شرعي وذاك العسكري الذي صرخ فيهم خلال تلك الليلة: مكنوني من نواصيكم وزمام أموركم،، أعطوني أرواحكم وسأعطيكم (بديمقراطيتي) ما تريدون؟ ليلتها تعالى الصراخ إلى عنان السماء مزلزلا: لك ما شئت فاعطنا ما نشاء. نريد رؤوس هؤلاء،، دحر الإسلام والقضاء على المسلمين.. ثم ـ ومن المؤسف حقا ـ أن يُذرّ الغبار في عيون شعب كذلك الشعب، فيُزجّ بالرئيس المخلوع ومجموعة أخرى من أتباعه في السجون بذريعة: "التحريض" على القتل. بينما وبالأدلة القاطعة تراهم يقتلون ويحرقون ويذبحون المئات من المصريين المسلمين. بل ولم يتورع أحد الوزراء أن يقول علنا: اضربوا بالذخيرة الحية وأصيبوا موضع القلب منهم...

"ماذا؟ إنها ليست الديمقراطية التي يبتغونها ولا تلك المطالب التي يصرخون لنيلها. كل شيء جائز متى أسدلت غشاوة قاتمة على البصيرة فعمي البصر والتبست عليهم دوافعهم. باتوا فأصبحوا أداة الدجال.. لكن الأهم من كل ذلك، أنه لم تعد ثمة ديمقراطية. لقد وُجدت من أجل هدف وها قد استوفت مهمتها بعد عشرات العقود بما انتهت إليه. أنهت مهمتها متى بلغت بالأمم إلى مبلغها الحالي وصنعتهم على ما هم عليه من وضع. الان وكل ما سيحدث مستقبلا لا علاقة له بإحقاق أي حق أو تشريع أية شرعية واتباعها، بل فقط سيستشري الظلم ويتصاعد العنف ولن يكون مفرا من المواجهة الدامية.

"يجب أن يكون ذلك. الأقدار تفرض حدوث ذلك. يجب أن يحدث كل ما تراه يحدث بل والمزيد منه. يجب أن يكون ثمة مساق تدريجي نحو الملحمة الكبرى. من غير ذلك الحشد في ساحة التحرير وغيرها في الأماكن الأخرى،، ومن غير كل هاته الفوضى التي تراها اليوم، لن يكون ثمة "الصدام العظيم". إنه قدر قد قُدّر وقضاء سيقضي به الله حتما ليُظهر حقه ويقضي على الدجال وكل أتباعه. إنه كذلك ولا مردّ له سواء أشئنا أم أبينا. مشيئتنا محدودة وتقتصر تحديدا على تحديد اختيارنا لأي من الشقين أنتمي: أالله أم للدجال،، فقط،، لا غير. وبالتالي هل أكون طرفا في معركة خاسرة متى علمت بأمر نهاية الدجال ومآل كل أتباعه؟

"ليس ثمة توافق بعد اليوم، لا تسامح بين الفرقاء السياسين."

صمت لحظة طويلة ثم انبرى قائلا بشيء من الهدوء:

"إذن، ها قد توفرت لديك خاصيتين، تلك الأولى: الصحوة التي عنت إنهاء سيطرة "أمراء سفهاء"وستكتمل متى وقع رفع "الوصاية" العنكبوتية الصهيونية تماما، ثم تلك الخاصية الثانية: وقوع حالة الغربلة التي أحدثت الفصل بين المؤمن وبين "الديمقراطي" كما رأيناه وستكتمل الشمولية لتشمل بقية الدول الأخرى فتجتاحها اجتياحا شاملا بدون استثناء. إثرها تكون المواجهة متى آن أوانها لحسم الأمر."

قلت مندهشا:

"إن كان هذا الانفجار العربي،، إن كانت هذه الزلزلة المستحدثة تعني في واقعها ما وقع الإشارة إليه بـ "المهدي المنتظر" فإذن أين المسيح الحقيقي؟ أين عيسى بن مريم؟ ألم تقل ـ ويُقال أيضا ـ بأن هذا "المنتظر" لن يقدر على الدجال ولن يهزمه غير عيسى بن مريم بعد أن ينزل من السماء على ،،،،؟"

ابتسم أولا ثم ضحك فجأة. هز رأسه طأطأة ثم قال:

"إن كنتَ قد اقتنعتَ بعدم وجود "المسيح الدجال" بشكل بشري كما يتوقعون؟

"ثم أيضا، إن أنت اقتنعت بعدم وجود "المهدي المنتظر" إلا على النحو المختصر الذي ذكرته لك؟ "إذن، من البديهي جدا أن تتوقع أيضا أنه لن يكون ثمة عيسى بن مريم منزلا من السماء أبدا... أعني لن تراه منزلا من السماء على غمامة بيضاء كما قيل، وإلا لرأينا الدجال ـ كما قيل عنه رمزيا ـ رجلا منزلا من سماء بغداد ليؤتي المعجزات الخارقة ويقول أنا ربكم فاعبدوني. ما رأينا غير "جورج بوش" الماسوني فارضا ديمقراطية الدجال وبالتالي ما كان ينتظر الحصول على الخير من الشر. أليس كذلك؟"

إذن؟

قال بسرعة وفي حدة:

"ليس ثمة "إذن".

"لقد وقع الأمر فعلا. وقع بشكل محدد وواضح كوضح النهار وسوف يقع ثانية بشكل أشد وضوحا وفظاعة على نطاق واسع،، بل وأوسع، بشكل مدمر وشامل فيحرق الأخضر قبل اليابس.

"لن يقدر المهدي على الدجال. أليس هذا ما قيل؟ إنه قول يُترجمه الواقع الراهن على النحو التالي: لن يقدر المسلمون على إسرائيل وهي تعتبر قوة عظمى ذات تقنية عالية وتمتلك من أسلحة ما هي متقدمة جدا فضلا عن البارجات الأمريكية الرابضة عند مرمى الحجر من كل حد وصوب."

لم أستوعب شكل الأحجية المعقدة لذلك لم أفهم لا القليل ولا الكثير. سألني:

"أتذكر غزة؟ أتذكر ذلك العدوان الوحشي والشرس والغير إنساني الذي أثار حفيظة الرأي العام العالمي؟ يومها وبعد تراجع العدو خرجت وزيرة الخارجية الإسرائيلية مرتبكة لتحذر القيادات والجنود الذين شاركوا في العدوان والذين ظهرت صورهم على وسائل الإعلام. نصحت لهم بعدم السفر إلى الخارج. كان ثمة خوف من القبض عليهم ومقاضاتهم كمجرمي حرب. إذن، دقق النظر في هذا الحدث البسيط. إن مجرد خروجها بذلك التحذير كان في حد ذاته اعترافا صريحا أولا بفظاعة العدوان الوحشي ثم اعترافا بكون الحرب كانت تحديا لكل شعوب العالم على السواء وشكلا مفضوحا من أشكال التمرد على كل القوانين الدولية. ضربت عرض الحائط بكل الأعراف والحقوق الإنسانية واستمرت في الجريمة بكل شراسة ووحشية فظيعة. هكذا تضمن ذاك الاعتراف مزيجا من "التحدي والخوف" في آن واحد. أعني، الإقدام على الجريمة في إصرار التحدي لكل العالم، ومن ثم الخوف من المتابعة والعقاب بعد حصول الكارثة."

ما شأن هذا بذاك؟ أين عيسى بن مريم؟ لا أراه.

"إنه في الملكوت الأعلى. هناك وليس أثبت مما ورد عنه في القرآن، سورة المائدة: وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب وكنتُ عليهم شهيدا ما دمتُ فيهم فلما "توفيتني" كنتَ أنت الرقيب عليهم وأنتَ على كل شيء شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم. قال الله "هذا يوم" ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا.) إذن، دقق في ترتيب الحدثين: "وفاة" عيسى عليه السلام والإفتراء عليه وبقاء الله رقيبا عليهم من بعده، ثم قول الله: "هذا يوم"، أي يوم القيامة وساعة المقارعة بالحجة. أترى أنه لم يقع الإشارة إلى "وجود" لعيسى عليه السلام حيا بذاته بين الحدثين، وأن الرقابة تحولت بعد حياته إلى رقابة من الله. تأمّل القول فستفهم الكثير.

"أما علاقة ما ذكرتُ بما سألتَ. إني أرى في الأفق تكرار عدوان غزة.

"كيسنجر، وزير أسبق (يهودي الأصل) يقول: سيقوم العالم ذات صباح وقد وجدوا أن إسرائيل قد وجهت ضربة عنيفة لكل العرب. سيتم فيها قتل أكبر عدد ممكن منهم. وقبل أن تتحرك روسيا والصين لتدارك الأمر تكون الولايات المتحدة قد وجهت إليهم ضربة قوية وهكذا يصبح ثمة دولة واحدة في العالم."

"ثمة ما يثير الدهشة في هذا التصريح "المتفائل" والغير حيادي. من المؤكد أنه ستكون ردود الفعل العالمية على غير ما كانت عليه سابقا من منطلق تضرر كل شعوب العالم ضررا مباشرا. عندها ستكون انتفاضة الغرب ودافع المواجهة دفاعا عن النفس وليس لمجرد مناصرة العرب. حينئذ سيجانب المسيحي المسلم لمواجهة اليهودي. ما يعني أن العالم المسيحي سيتدخل فعليا ضد اليهود وبذلك تتحقق إشارة الساعة التي مفادها: "نزول المسيح"... أي أن مقدم المسيح أيضا لن يكون مجسما في شخص بن مريم عليه السلام بل متمثلا في "تلك الطاقة" الكامنة في كل المسيحيين. هؤلاء الذين تراهم اليوم خاضعين للسيطرة الصهيونية المتجذرة في عضد كل أمة من أممهم وتتصرف فيها وفي كل قراراتها ومواقفها. في الغد القريب ستنزاح الغشاوة وتتضح الصورة ويكتشف كل مسيحي أنه كان لعبة شطرنج على رقة الدجال. يومها سيتخذ موقفا لا يختلف عن موقف هتلر خلال: ليلة كريستال تلك. زد على ذلك إستماتة القوى العظمى على السيطرة والمواقف السياسية المشحونة التي تنتظر،، شرارة بسيطة كي ينفجر الوضع،، ينفجر كل العالم حيث سيُذهب بثلثي سكان العالم."

تحول إلي ورمقني بنظرة خاطفة ثم قال متهكما:

"إن لن يحدث ذلك فكيف ستقرأ وتفهم وتفسر علامة الساعة المشيرة إلى أن المسلمين سيقاتلون اليهود جنبا إلى جنب مع المسيحيين، وقد سُميّت المعركة بالملحمة الكبرى: "همجدون". ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودي خلفي فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود.)" اليهود أنفسهم يعلمون ذلك أيضا يقينا. يعرفون تلك الحقيقة التي لا مفر لهم منها. أما كيف سيتطور الأمر إلى غاية انفجار الوضع، فإني لا أدري. لأني لم أكن هناك بعد. لا تنسى أن تعتمد على قول الله تعالى: إن عدتم عدنا.. أي أنهم سيعودون إلى ما جبلوا عليه وسيعود الله إلى تصريف قضائه كما فعل بهم سابقا،، التشتيت والشتات."

حملق في مليا. ظن أني قد تهت بين كل تلك "الحقائق" فلم أعد أثق في جديتها. ضرب سطح الطاولة نقرا بأصابعه ثم انبرى قائلا في شيء من الحدة:

" هنا مربط الفرس. هنا بيت القصيدة المعقدة.

" ليس ثمة ذرة من الشك في وقوع الكارثة القادمة. نحن نعلم ذلك وهم يعلمون. الملحمة الكبرى.

"منذ الساعة إلى غاية تلك الواقعة العظيمة،، في غضون هاته الفترة،، بوسعك اليوم،، عند هاته الوقفة القصيرة من الزمن المتحرك والزاحف نحوالمتاهة،،، بوسعك استشراف الأحداث وفهم مجراها.

أنت لست في حاجة إلى ذكاء خارق لتفهم أنه لا مكان للديمقراطيين ولا مستقبل لهم. وجودهم إن هم وُجدوا وتملكوا زمام الحكم هنا أو هناك فهذا يعني قطعا عدم وجود أسباب ولا دوافع لقيام الملحمة الكبرى. الديمقراطيون أو ما أشبه ذلك لن يكونوا

خطرا على الصهيونية ولن يشكلوا تهديدا أبدا على استقرارها وتوسعها ما يعني عدم توفر أسباب لقيام معركة كبرى. لكن بالمقابل، سيكون هناك "عدو" للصهيونية يستفزها ويناوئها ويهدد وجودها بشكل يجعلها تدافع عن نفسها بشكل شرس. العداوة متوفرة في الطاقة الإسلامية. أعني ثمة وجود عدائي سيفجّر الوضع ذات يوم ما. ما مفاده أن الإسلاميين ستكون لهم الغلبة على الديمقرطيين في أوطانهم رغم كل ما تراه من انعدام الوزن الحالي وتداخل التداعيات الغوغائية.

"هل استوعبت حركية التفاعل الحدثي؟ أعني، هل فهمت ضرورة وجود الشرط الأساسي لحدوث الملحمة العظمى؟ هل فهمت يقينا عدم تحيّزي لا لهذا ولا لذلك؟ هل استيقنت بكامل اليقين أني لا استهدف تشجيع فئة على مواجهة أخرى؟ لو قلت لك بأنك ستموت وأنت تعلم يقينا بأنك ستموت مثلك مثل غيرك وننتهي عند نهاية محتومة. فهل هذا يعني أني أحرضك على الإنتحار؟ بكل تأكيد لا أريد أن أكون دافعا مباشرا لوقوع الموت، بل أجعلك تفكر بشكل إيجابي لتعمل من أجل آخرتك،،، لا غير.

"ما أعنية شموليا، أنه ثمة خطوط كبرى وأخرى دون ذلك. أقصد بالإشارة إلى وقوع أحداث عظيمة مصيرية وحاسمة، وأخرى أقل أهمية مع أنها تحمل في طياتها مكونات وأسباب مؤدية إلى مواجهة عظمى. فلك أن تفكر وتدقق النظر فيما سيفني ثلثي البشرية دفعة واحدة. لا تهم الإشكاليات وكيفية التناحر والإقتتال الداخلي والأخذ والرد واختلاق الأسباب الصائبة أو العشوائية،، لا تهتم، بالفعل وردات الفعل ولا بظلم الظالم ولا بانتقام المظلوم لأنها جميعا "خطوات" بطيئة أو سريعة نحو: الحدث العظيم."

حملقت فيه لحظة طويلة. لا أكاد أصدق تصوري المرعب للكوارث القادمة المنعكسة في عمق سواد عيني هذا الرجل. صمت طويلا. بدا وكأنه يستقرأ الغيب بشكل مثير ثم قال:

"ليست الماسونية الصهيونية سوى مجرد أداة للدجال. سيهزمون بشكل لم يشهده تاريخهم من قبل. هزيمتهم تعني القضاء على الدجال وذلك بتدمير "أدواته". يجب أيضا أن تغلق بوابته التي في الخليج وتسد كل منافذه. سيقع ذلك لا محالة بناءا على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل في بصرى الشام." سيلتهب الخليج ولن تكون محرقة بسيطة. ثمة إن من يعلمون هذا هم يترصدون الواقعة وسيستهدفون ذاك الهدف تحديدا والقصد حصريا: تدمير البوابة، ومن ثم تقع تصفية كل أتباعه في المنطقة. أكاد أرى بأم عيني وابلا من القنابل الذرية في سماء الخليج."

فقدت إحساسي بالزمن. حشرتني تصوراتي في متاهة الواقع المعقد والشائك.

تتالت في ذهني سيناريوهات نووية مرعبة،، هيروشيما،، تشارنوبل،، النبض الكهروطاسي الذي يضرب كل الأجهزة الكهربائية على السواء والمعدات الالكترونية فتتعطل كل الأنظمة فورا كالصعقة،، الإشعاعات النارية الصاهرة للمعادن قبل البشر،،